٤

الوحدة الرابعة

خصائص المرأة، وعلاقتها بدورها التنموي

أخي الطالب / أختي الطالبة :

يتوقع – بعد دراستك لهذه الوحدة – أن تكون قادراً على :

١ – معرفة خصائص المرأة الجسدية والنفسية.

٢ – استشعار أهمية مراعاة خصائص المرأة في دورها التنموي.

٣ – بيان منهج الإسلام في مراعاته لهذه الخصائص.

الخصائص الجسدية للمرأة

۞ أولاً: الفروق في الخِلقة لحكمة.

من حكمة الخالق جلّ وعلا أن أوجد فروقاً جسمية بين الرجل والمرأة، حتى يهنأ بعضهما نحو بعض، ويأنس كلٌ بالآخر. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلكم وتشاكلونهن ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة، فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة»[1].

۞ ثانياً: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ﴾ (آل عمران ٣٦).

ظهرت في العصر الحاضر في المجتمعات الغربية نظريات غريبة، فيما يتعلق بالجنس البشري، ومنها نظرية التنميط الجنسي، والتي تعني أن الجنس البشري واحد، ولكن البشر أنفسهم هم الذين يحددون ماذا يريدون، بمعنى أن ذلك نمطٌ مكتسبٌ، فالنمط الجنسي تنميط اجتماعي، والمجتمع هو الذي يحدد الدور الذكوري أو الدور الأنوثي، فيبدأ التنميط الجنسي عندما يلقب الطفل بذكر أو أنثى.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٦٣٩)

وهذه النظرية معارضة للعقل، والفطرة، والطبيعة البشرية، وقبل ذلك كله معارضة تماما للشرائع السماوية، ومنها شريعة الاسلام التي فضلنا الله بها على سائر الشرائع والفلسفات التي لا تمت إلى المنطق بصلة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ (آل عمران ٣٦)[١]؛ فالمرأة مختلفة عن الرجل في الخلقة والطبائع والصفات[٢] وهذا كمال لها، وخير لها أن تحافظ على ما من الله به عليها من طبيعة أنثوية تميزت به عن الرجل.

***

الخصائص النفسية للمرأة

الفروق النفسية والمشاعر الوجدانية تتبع الوظائف العضوية، وبما أن للمرأة خصائص عضوية خاصة بها، فإنه لابد أن يكون لها خصائص نفسية تكمل أنوثتها، وتحقق تميزها عن الرجل. وفيما يأتي أهم تلك الخصائص:

---

(١) جاء في تفسير الآية عند ابن كثير (٣/٣٣) في بيان بنت عمران التي سألت ربها هبة الولد لخدمة بيت المقدس، ما نصه: «وهي حنة...، وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يوما طائرا يزق فرخه، فاشتهت الولد، فدعت الله ﷻ، أن يهبها ولدا، فاستجاب الله دعاءها..، فلما تحققت الحمل نذرته أن يكون (محررا) أي: خالصا مفرغا للعبادة، ولخدمة بيت المقدس، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (آل عمران: ٣٥) أي: السميع لدعائي، العليم بنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكرا أم أنثى؟ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ (آل عمران: ٣٦) قرئ برفع التاء على أنها تاء المتكلم، وأن ذلك من تمام قولها، وقرئ بتسكين التاء على أنه من قول الله ﷻ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ (آل عمران: ٣٦) أي: في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فيه دلالة على جواز التسمية يوم الولادة».

(٢) أي جنس النساء والرجال وليس الفرق بين رجل بذاته وامرأة بذاتها، فقد تجد امرأة قلبها كالصخر، وقد تجد رجلاً عاطفته شديدة.

۞ أولاً: رقة العاطفة وحب الإيثار.

فالمرأة أسرع تأثرا وانفعالا، وأرق شعورا بالألم والفرح من الرجل، وقد نبه رسول الله ﷺ إلى هذه الخاصية، وضرورة مراعاتها عند التعامل مع المرأة؛ ففي الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، وكان معه غلام له أسود يقال له: «أنجشة» يحدو[1]، فقال له رسول الله ﷺ: (ويحك يا أنجشة، رويدك بالقوارير)[2]. قال ابن حجر: «كنى عن النساء بالقوارير؛ لرقتهن.. والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة، واللطافة»[3].

وعاطفة المرأة ليست صفة ذم تعارِض العقل والحكمة، بل هي فضل من الله تعالى تفضل به عليها؛ لتتمكن من تأدية الأدوار المنوطة بها في الحياة، والتي لا يمكن للرجال القيام بها، كالأمومة والحضانة.

فالمرأة سريعة التأثر والتفاعل العاطفي، ولذلك هي أسرع بكاء من الرجل، وأشد تأثرا وجزعا عند مصيبة الموت بأحد أهلها، فكان رسول الله ﷺ ينهى النساء خاصة عن هذا، فعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ ﷺ، قَالَتْ: (أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ البَيْعَةِ أَنْ لاَ نَنُوحَ)، فَمَا وَفَتْ مِنَّا امْرَأَةٌ غَيْرَ خَمْسِ نِسْوَةٍ: أُمِّ سُلَيْمٍ، وَأُمِّ العَلاَءِ، وَابْنَةِ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةِ مُعَاذٍ، وَامْرَأَتَيْنِ – أَوِ ابْنَةِ أَبِي سَبْرَةَ، وَامْرَأَةِ مُعَاذٍ وَامْرَأَةٍ أُخْرَى[4].

---

(١) من الحدو وَهُوَ سوق الْإِبل والغناء لَهَا. ينظر: عمدة القاري (١٧/٢٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في قول الرجل ويلك، رقم الحديث: (٦١٦١)، ومسلم في الفضائل، باب: رحمة النبي ﷺ للنساء، رقم الحديث: (٢٣٢٣).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/٥٤٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: ما ينهى عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك، رقم الحديث: (١٣٠٦).

۞ ثانياً: متانة العلاقة الاجتماعية.

بعض الخصائص الجسدية للمرأة ذات أثر كبير في دفعها إلى الحرص على إقامة العلاقات الاجتماعية المتينة، وهذا يجعلها أكثر حرصا على أسرتها، والتصاقا بها، ورعاية لها، وصبرا على ما قد تتعرض له من مشكلات مختلفة في سبيل الحفاظ على كيان أسرتها، وترابطها الاجتماعي.

۞ ثالثاً: وُفور الحياء.

يعد الحياء من أقوى صفات المرأة النفسية، فالأنثى بفطرتها النقية مجبولة على الحياء، قال تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ (القصص: ٢٥)، والحياء من أجمل صفات المرأة؛ لأنه خُلق عظيم، يأخذ بيدها إلى عمل الخير، ويحول بينها وبين عمل السوء، قال ﷺ: (الحياء لا يأتي إلا بخير)[1]. وهذا يبين لنا أن هذه الصفة صفة كمال، يجب الحرص عليها، وتعزيزها.

فعلى المرأة أن تثق في أن حياءها هو مصدر قوتها، وليس علامة نقص أو ضعف، وقد كانت من صفات أكمل الخلق ﷺ في المناقب، وكان ﷺ (أشد حياء من العذراء في خدرها)[2].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: الحياء، رقم الحديث: (٦١١٧)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: عدد شعب الإيمان، رقم الحديث: (٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: (٣٣٦٩)، وصحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ، رقم الحديث: (٢٣٣٠).

والحياء الممدوح يتعارض مع الخجل المذموم، والذي يمنع المرأة من المطالبة بحقوقها الشرعية والطبيعية، ويحول دون طلبها للعلوم النافعة والسؤال عنها، فعن أم سلمة ﵂ قالت: (جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق؛ فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ: إذا رأت الماء. فغطت أم سلمة وجهها، وقالت: يا رسول الله؛ أو تحتلم المرأة؟ قال: نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها؟)[1].

❁ رابعاً: حبُّ الزينة.

جبلت المرأة على حبِّ التزيُّن والتجمُّل، وهذا من تمام أنوثتها؛ ولذلك راعى الإسلام هذه الصفة عند المرأة، فأباح لها من التجمل والتزين ما حرمه على الرجال، كلبس الذهب والحرير، فعن أبي موسى ﵁، عن النبي ﷺ قال: (أحل لبس الحرير والذهب لنساء أمتي، وحرم على ذكورها)[2].

* * *

علاقة خصائص المرأة بدورها التنموي

المرأة مساوية للرجل من حيث التكليف والتشريف والمسؤولية، لكن بنيتها الجسمية والنفسية، تختلف عن بنية الرجل، لا اختلاف نقص ولكن اختلاف تكامل، فهي تكمله، وهو يكملها.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: الحياء في العلم، رقم الحديث: (١٣٠)، وصحيح مسلم، كتاب: الحيض، باب: وجوب الغسل، رقم الحديث: (٣١٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث: (١٩٦٤٥). قال المحققون: «حديث صحيح بشواهده».

هذا الاختلاف الذي بين الزوجين يجعل كل منهما سكناً للآخر، ويكمل نقصه بالآخر، هذا الاختلاف هو سرُّ المودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين.

فالله بحكمته خلق المرأة من الرجل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (النساء: ١)[1].

ولذا وجهت الشريعة السمحة إلى التوصية بالإحسان إلى النساء، قال ﷺ: (وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)[2]. أي: تواصوا فيما بينكم بالإحسان إليهن، وعدم تعنيفهن أو الإساءة إليهن، بل يجب على الرجل زوجا كان أو والدا أو ابنا أن يراعي حال المرأة، ويصبر على اختلافها معه، ولا يستعجل في الرد عليها بمثل فعلها، وفي هذا رحمة عظيمة بصنف النساء، أوصي الرجال به، وتحملوا تبعته.

ويستفاد من الحديث: **ألا تحمل المرأة فوق طاقتها أو تكليفها بالعمل الشاق المرهِق الذي لا يستطيعه في أصل الخلقة إلا الرجال، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها.**

ولذا فإن هذه الخصائص لها أثر كبير في الجهد التنموي للمرأة، وهي التي شكلت الإطار العام لوظائفها على مر التاريخ؛ ولذا لم يأت الدين الإسلامي بمعارضة ما استقرت عليه الحياة الإنسانية من قبل في اختصاص كل من الرجل والمرأة بوظائف تكفل تحقيق الحاجات للطرفين، وإنما جاء لتقويم الانحرافات التي شابت المجتمعات الإنسانية، وأهدرت طاقة المرأة، وهضمت حقوقها، وحبستها عن أداء دورها المنوط بها في الحياة، سواء أكانت هذه الانحرافات ناتجة عن أعراف متبعة، أم معتقدات منحرفة.

---

(١) أي خلق الله تعالى حواء من ضلع آدم عليه السلام جامع البيان، الطبري (٥٦٥/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾، رقم الحديث: (٣٣٣١).